سياسات الصوت وموسيقى المقاومة: تحليل لدور الأغنية في الصراعات الاجتماعية والسياسية، أغاني ريم بنا نموذجا.

نادية بدر الدين أبوغازى

رحاب عبد الغنى صقر

لطالما كان الصوت، بجميع أشكاله، جزءاً لا يتجزأ من التجربة الإنسانية، متجاوزاً كونه مجرد وسيلة للتواصل أو شكلاً من أشكال التعبير الفني. في سياقات الصراع الاجتماعي والسياسي، يبدو الصوت كقوة فاعلة، قادرة على تشكيل الواقع، وفرض السيطرة، او إلهام التغيير. إن دراسة "سياسات الصوت" تعني التعمق في كيفية استخدام الصوت – سواء كان كلاماً، او ضجيجاً، صمتاً، أو موسيقى – كأداة للقوة والتحكم، وكيف يتم توظيفه للتأثير على الجماهير، وتحديد المساحات، من جانب آخر، تبرز "موسيقى المقاومة" كنمط خاص ومؤثر ضمن هذا المشهد الصوتي السياسي، حيث تتخطى وظيفتها الجمالية لتصبح صوتاً جماعياً يعبر عن الرفض، الصمود، والأمل في مواجهة القمع أو الظلم. إنها لغة عالمية تتجاوز الحواجز، قادرة على توحيد الصفوف، وتأريخ الأحداث، وتغذية الذاكرة الجمعية.

(Attali, 1985,الغبراء، 2024, الدردي, 2024)

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة المعقدة والمتداخلة بين سياسات الصوت وموسيقى المقاومة, مع التركيز على المقاومة الفلسطينية ممثلة في أغاني ريم بنا. سيتناول كيف يمكن للسلطة أن تستغل الصوت لفرض هيمنتها والتحكم في الفضاء العام والخاص، وكيف تتصدى حركات المقاومة لذلك عبر استخدام الصوت والموسيقى كأدوات للتحرر والتعبير. تسلط الدراسة ايضا الضوء على آليات تفعيل الصوت والموسيقى في سياقات الاحتجاجات الشعبية، وحروب التحرير، والنضالات الاجتماعية، مع تحليل لدورهما في بناء الهوية الجماعية، وتشكيل الوعي السياسي، وتحدي السرديات الرسمية. كما يلقي الضوء على التحديات والتحولات التي طرأت على هذه الديناميكية في العصر الرقمي، الذي أتاح فرصاً جديدة لنشر الأصوات المقاومة ولكنه فرض أيضاً تحديات رقابية ومعلوماتية معقدة.

الصوت كأداة سياسية للسيطرة والقمع

لا يمكن فهم موسيقى المقاومة دون إدراك الإطار الأوسع لـ "سياسات الصوت" التي تعمل ضمنه. تستخدم السلطات، على مر التاريخ، الصوت بأساليب متعددة لفرض سيطرتها وتنظيم سلوك مواطنيها. يمكن أن يتخذ هذا الاستخدام أشكالاً عديدة، من الضجيج المنظم إلى الصمت القسري. الضجيج، على سبيل المثال، يمكن أن يكون أداة قمعية بحد ذاته؛ فاستخدام صفارات الإنذار المستمرة، أو الموسيقى الصاخبة الموجهة، أو مكبرات الصوت التي تبث رسائل معينة بشكل متواصل، يمكن أن يؤدي إلى تآكل السلامة النفسية للأفراد وكسر إرادتهم، وهو ما يندرج ضمن مفهوم "الحرب الصوتية" أو "التعذيب الصوتي" الذي وثق في العديد من الصراعات. هذه التكتيكات الصوتية تسعى إلى خلق بيئة من الخوف والقلق، حيث يصبح الفرد محاطاً بصوت السلطة المهيمن، مما يقيد حريته في التفكير أو الفعل المستقل، وهو ما يؤكده التحليل النظري للعلاقة بين الصوت والقوة. (Attali, 1985, الدردي 2024)

في المقابل، يُعد الصمت أيضاً أداة سياسية قوية في يد السلطة. فرض الصمت على المعارضين، من خلال حظر التجمعات الصاخبة، أو قمع الأصوات المنادية بالتغيير، او حتى إنشاء "مناطق صمت" حيث يتم حظر اي شكل من أشكال التعبير الصوتي غير المصرح به، هو تكتيك يهدف الى محو وجود هذه الأصوات من الفضاء العام. الصمت المفروض هنا ليس غياباً للصوت بقدر ما هو إلغاء للحق في التعبير، محاولة لطمس الهويات المستقلة وتجريم أي محاولة لكسر الرواية الرسمية. يمكن رؤية ذلك في الأنظمة التي تمنع الأغاني الثورية أو الترانيم الدينية التي قد تحمل معاني مقاومة، وتستبدلها ببرامج صوتية خاضعة للرقابة تعزز الرواية الرسمية.

علاوة على ذلك، تستغل السلطات الفضاءات الصوتية لترسيخ هيمنتها. فالمساجد والكنائس التي تخضع لسيطرة الدولة، والمحطات الإذاعية والتلفزيونية الرسمية، تصبح كلها منابر تبث رسائل معينة بصوت واحد، موحد، وموجه. هذا الصوت الواحد يسعى إلى الطغيان على أي أصوات أخرى قد تحاول الظهور، مما يخلق بيئة صوتية أحادية الجانب يصعب فيها على الأصوات المعارضة أن تجد مساحة لها. هذا الاستخدام الشامل والمكثف للصوت كأداة للسيطرة يعكس إدراكاً عميقاً لقوة السمع في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، وهو ما يضع الأساس لفهم أهمية موسيقى المقاومة كاستراتيجية مضادة لهذا التحكم. إن دراسة تاريخ إعادة إنتاج الصوت وتأثيرها على الثقافة تكشف عن تعقيدات المشهد السمعي ككل.

(Sterne, 2003, Jurgenson, 2011)

التكتيكات السمعية للمقاومة

تتخذ المقاومة أشكالاً عديدة، وكثيراً ما تكون التكتيكات السمعية في قلب هذه الأشكال. بعيداً عن الموسيقى بالمعنى التقليدي، يمكن للأصوات اليومية أو المنظمة أن تتحول إلى أدوات فعالة للتعبير عن الرفض، تعطيل النظام، أو جذب الانتباه إلى قضية معينة. هذه التكتيكات تستغل قوة الصوت في الفضاء العام لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية.

أحد أبسط وأكثر أشكال التكتيكات السمعية شيوعاً هو الهتاف الجماعي. في المظاهرات والاحتجاجات، لا يهدف الهتاف فقط إلى توصيل رسالة، بل إلى خلق جبهة صوتية موحدة وقوية. الصوت الجماعي يضخم الرسالة، يرهب الخصم، ويعزز شعور الوحدة بين المتظاهرين. إن ترديد الشعارات بصوت عالٍ ومنسق يخلق "جداراً صوتياً" يتحدى ضجيج المدينة العادي ويفرض وجود المحتجين. هذا الهتاف يمكن أن يكون تلقائياً أو منظماً، ولكنه دائماً ما يحمل شحنة عاطفية وسياسية هائلة، قادراً على تحويل المساحات الحضرية إلى مساحات للصراع السمعي.

(BBC, 2019)

بالإضافة إلى الهتاف، يتم استخدام الضجيج المنظم أو التخريب الصوتي كأداة للمقاومة. يمكن أن يتضمن ذلك الضرب على الاواني أو إطلاق أبواق السيارات، أو إحداث أصوات عالية ومنظمة أخرى لإزعاج السلطات أو جذب الانتباه الإعلامي. هذه التكتيكات الصوتية تعطل الهدوء المعتاد في الفضاء العام، مما يجبر السلطة والمجتمع على ملاحظة وجود الاحتجاج. الضجيج هنا لا يعني الفوضى أو الازعاج لمجرد الازعاج، بل هو استراتيجية مدروسة لخلق حالة تعكس الاضطراب السياسي والاجتماعي الذي يسعى المحتجون إلى معالجته.

الصمت نفسه يمكن أن يكون تكتيكاً سمعياً قوياً للمقاومة. ففي بعض الاحتجاجات، يُختار الصمت المطبق لإيصال رسالة معينة، مثل الصدمة من الظلم، أو التضامن مع الضحايا الذين لا صوت لهم. الصمت في هذا السياق هو فعل مقصود وخطابي، يلفت الانتباه إلى غياب الأصوات التي تم إسكاتها، ويخلق فراغاً صوتياً يجبر الآخرين على التفكير في أسبابه. يمكن أن يكون الصمت أكثر إزعاجاً وأكثر قوة من أي ضجيج، لأنه يكسر التوقعات الصوتية ويترك فراغاً يملؤه التساؤل والانزعاج.

(Glenn, 2024)

وأخيراً، تلعب المساحات الصوتية دوراً حاسماً. الميادين العامة، الشوارع، وحتى المواقع الافتراضية، تصبح مسارح للصراعات الصوتية. السيطرة على هذه المساحات الصوتية، سواء بالهتافات، الموسيقى، أو حتى الصمت، هي جزء أساسي من استراتيجية المقاومة. في العصر الرقمي، انتقلت هذه التكتيكات إلى منصات الإنترنت، حيث يمكن للميمات الصوتية، ومقاطع الفيديو القصيرة التي تستخدم أصواتاً محددة، والبودكاست، أن تخلق "غرف صدى" للأصوات المقاومة، وتتجاوز الحواجز الجغرافية والرقابية التقليدية. هذا التوسع في المجال الصوتي يمنح المقاومة أدوات جديدة وغير مسبوقة للوصول والتأثير.

(Thompson, 2017)

موسيقى المقاومة: التعبير عن الهوية والاحتجاج

في مواجهة سياسات الصوت القمعية، وبشكل أكثر دقة وقربا للموسيقى كما نعرفها, تبرز موسيقى المقاومة كشكل فني وثقافي وسياسي مميز، يمثل صوتاً جماعياً للرفض والصمود والتعبير عن الذات. تتجاوز هذه الموسيقى كونها مجرد ألحان وكلمات؛ فهي تجسيد للصراعات، الآمال، والآلام المشتركة لشعوب أو جماعات معينة. إنها تعمل كوعاء لحفظ الهوية الثقافية في ظل محاولات الطمس، ووسيلة لتوحيد صفوف المحتجين، وحافزاً للمضي قدماً في وجه الشدائد.

تأخذ موسيقى المقاومة أشكالاً متعددة، تتراوح من الأغاني الشعبية المتوارثة التي تحمل قصص النضال، إلى الأناشيد الثورية التي تُلحن خصيصاً للحظات الحراك، مروراً بالأنواع الموسيقية الحديثة مثل الراب والهيب هوب التي استخدمت لتوصيل رسائل سياسية واجتماعية جريئة. في العديد من السياقات، كانت الأغاني الشعبية هي الشرارة الأولى للمقاومة، حيث حملت في طياتها حكايات الظلم المتوارثة من جيل إلى جيل، مما ضمن استمرارية الذاكرة التاريخية وحفز الأجيال الجديدة على مواصلة النضال. على سبيل المثال، في سياق النضال ضد الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، لم تكن الأغاني مجرد خلفية للأحداث، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من النسيج اليومي للمقاومة، تُغنى في السجون، في التجمعات، وفي الشوارع، لتؤكد على صمود الروح الأفريقية في وجه القمع. (الغبرا, 2024, فاروس, 2020)

تعد موسيقى المقاومة أيضاً أداة قوية للتعبير عن الهوية المكبوتة أو المهددة. في السياقات التي يسعى فيها نظام ما الى طمس هوية جماعة معينة (عرقية، دينية، قومية)، تصبح الموسيقى ملاذاً آمناً للحفاظ على اللغة، التقاليد، والقصص الشفهية. الأغاني هنا لا تُغنى فحسب، بل تُعاش، وتشكل جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والثقافي. كما أنها توفر منصة للتعليق الاجتماعي والسياسي، حيث يمكن للفنانين استخدام الاستعارات والتلميحات لتجاوز الرقابة وتوصيل رسائل نقدية حادة لا يمكن قولها صراحة في سياقات أخرى. هذا يمنح الموسيقى دوراً مزدوجاً: فهي ترفيه، وفي الوقت نفسه، تعليم وتحريض. (فاروس, 2020)

أخيراً، تعمل موسيقى المقاومة كعامل توحيد فعال، خصوصاً في الحركات الجماهيرية. فاللحن المشترك والكلمات التي تعبر عن تجربة مشتركة تخلق شعوراً قوياً بالتضامن والوحدة بين الأفراد، مما يعزز من قوة المجموعة في مواجهة السلطة. الأغاني الجماعية في المظاهرات، على سبيل المثال، لا تزيد من صوت المحتجين فحسب، بل تبني جسوراً من التفاهم والتعاضد، وتؤكد على أن المعركة هي معركة جماعية وليست فردية. في هذا الإطار، تتحول الموسيقى من مجرد عمل فني إلى فعل سياسي بحد ذاته، قادر على إحداث تغيير ملموس في السلوكيات والتوجهات.

(مركز المعرفة, 2025, الغبرا, 2024)

الصوت والموسيقى في تشكيل الذاكرة الجماعية ورواية التاريخ

تتجاوز وظيفة الصوت والموسيقى في سياقات المقاومة مجرد التعبير اللحظي أو التحريض على الفعل، لتمتد إلى دور أعمق وأكثر استدامة في تشكيل الذاكرة الجماعية ورواية التاريخ البديل. في المجتمعات التي تتعرض للقمع أو حيث تُحرف السرديات الرسمية، تصبح الموسيقى، والصوت بشكل عام، وسيلة أساسية لحفظ الحقائق، تخليد الذكريات، وتوريث التجارب للأجيال القادمة. إنها بمثابة أرشيف شفوي وتعبير عاطفي للتاريخ غير المكتوب أو الممنوع. (فاروس, 2020)

الأناشيد والأغاني الثورية، على سبيل المثال، غالباً ما تحتوي على تفاصيل أحداث تاريخية، أسماء شهداء، أو ذكرى انتصارات وهزائم. هذه التفاصيل، التي قد تُحذف من كتب التاريخ الرسمية، تُحفظ بعناية في ذاكرة الألحان والكلمات، وتُنقل من جيل إلى جيل عبر الغناء والإنشاد. بهذه الطريقة، تصبح الأغنية مستودعاً حياً للذاكرة، يضمن أن التضحيات والمعاناة والأهداف النبيلة للمقاومة لا تُنسى. هذا يبرز بشكل خاص في سياقات مثل النضال الفلسطيني، حيث تعج الأغاني بأسماء القرى المدمرة، التواريخ المحورية، والقصص البطولية التي تحافظ على سردية حق العودة والهوية الوطنية في وجه سياسات الطمس.

علاوة على ذلك، تساعد الموسيقى في الحفاظ على الروح المعنوية وتغذية الأمل. في أوقات اليأس والقمع الشديد، يمكن للألحان المألوفة والكلمات القوية أن تذكّر الناس بأنهم ليسوا وحدهم، وأن هناك تاريخاً طويلاً من الصمود يمكنهم الاستناد إليه. هذه

الأغاني تصبح ملاذاً نفسياً، توفر العزاء، وتشجع على المثابرة. إنها تخلق مساحة للتأمل الجماعي، حيث يمكن للأفراد أن يتصلوا ببعضهم البعض من خلال تجربة عاطفية مشتركة يغذيها اللحن والإيقاع. في هذه المساحات، يتم تحدي الرواية الرسمية التي قد تسعى إلى بث اليأس أو القنوط، وتُستبدل برسالة قوة وصمود.

(McDonald, 2013)

الصوت نفسه، خارج الإطار الموسيقي، يساهم أيضاً في تشكيل الذاكرة. صوت المظاهرات، هتاف الجماهير، صوت الرصاص أو القصف، كلها تشكل جزءاً من ذاكرة الصراع. الأصوات المسجلة من هذه الأحداث، حتى لو لم تكن موسيقية، تحمل قوة عاطفية وتاريخية هائلة. يمكن أن تستخدم هذه التسجيلات كدليل، كشهادة، وكأداة لإعادة بناء تجربة الماضي. فمثلاً، يمكن لصوت قذيفة مدفعية أن يثير ذاكرة الألم، بينما يمكن لصوت هتافات مليونية أن يبعث على الأمل والثقة في القدرة على التغيير. بهذه الطريقة، تصبح كل من الموسيقى والأصوات غير الموسيقية جزءاً لا يتجزأ من النسيج السمعي للذاكرة الجماعية، مما يضمن استمرارية المقاومة على المستويين التاريخي والنفسي.

(McDonald, 2013)

التحديات والتحولات في العصر الرقمي

لقد أحدث العصر الرقمي ثورة في طبيعة سياسات الصوت وموسيقى المقاومة، مقدماً فرصاً غير مسبوقة وفي الوقت نفسه فرض تحديات جديدة ومعقدة. لقد غيرت التكنولوجيا الرقمية جذرياً كيفية إنتاج الموسيقى، وتوزيعها، واستهلاكها، مما أثر بشكل مباشر على ديناميكيات المقاومة الصوتية.

من أبرز الفرص التي أتاحتها الرقمنة هي الديمقراطية المتزايدة في الإنتاج والتوزيع. لم تعد صناعة الموسيقى حكراً على شركات الإنتاج الكبرى أو الفنانين المعروفين؛ فبواسطة أدوات بسيطة وبرامج مجانية أو بأسعار معقولة، يمكن لأي شخص إنتاج موسيقى عالية الجودة. هذا يعني أن الأصوات المهمشة والمقاومة يمكنها الآن تسجيل ونشر أعمالها دون الحاجة إلى موافقة السلطات أو الاعتماد على قنوات التوزيع التقليدية التي غالباً ما تخضع للرقابة. أدت سهولة الوصول إلى منصات مثل يوتيوب، ساوندكلاود، سبوتيفاي، ومنصات التواصل الاجتماعي إلى انتشار سريع لموسيقى المقاومة عبر الحدود الجغرافية، مما سمح لها بالوصول إلى جماهير أوسع بكثير وتشكيل حركات تضامن عالمية. أصبحت مقاطع الفيديو التي تحتوي على أغاني الاحتجاج، أو التسجيلات الصوتية للمظاهرات، فيروسية في غضون ساعات، مما يعزز من تأثيرها بشكل لم يكن ممكناً في الماضي.

(Woo, 2024)

ومع ذلك، لم يخلُ العصر الرقمي من تحديات. فمع تزايد انتشار المحتوى الصوتي، زادت أيضاً أساليب الرقابة والتحكم. تستخدم الحكومات والأنظمة القمعية الآن خوارزميات متقدمة لمراقبة المحتوى على الإنترنت، وتحديد "الأصوات الخطرة"، وإزالتها. يمكن أن يشمل ذلك حذف الأغاني من المنصات الرقمية، أو حظر حسابات الفنانين، أو حتى استخدام بيانات الاستماع لتحديد المعارضين. بالإضافة إلى ذلك، فإن ظاهرة "الغرف الصدى" و"الفقاعات التصفوية" على الإنترنت يمكن أن تحد من وصول موسيقى المقاومة إلى جمهور أوسع، حيث يميل الأفراد إلى استهلاك المحتوى الذي يتوافق مع آرائهم المسبقة، مما يقلل من فرص التغيير الحقيقي في الرأي العام.

(Woo, 2024)

كما أن طبيعة الاستهلاك الرقمي للموسيقى قد أثرت على طريقة تفاعل الجمهور مع موسيقى المقاومة. في حين أن سهولة الوصول تعني انتشاراً أوسع، فإن الاستماع السريع والمتجزئ، وغياب السياق الجماعي للاستماع الحي (كما في التجمعات والمظاهرات)، قد يقلل من عمق التأثير العاطفي والتحريضي للأغنية. قد تتحول أغاني المقاومة إلى مجرد "ضوضاء خلفية" في بحر من المحتوى الرقمي، بدلاً من أن تكون دعوة واضحة للعمل أو تأملاً عميقاً في المعاناة. (البيان, 2000)

على الرغم من هذه التحديات، يظل العصر الرقمي مساحة حيوية لصراع سياسات الصوت وموسيقى المقاومة. فمع كل محاولة للرقابة، تظهر طرق جديدة لتجاوزها، ومع كل خوارزمية تسعى لإسكات الأصوات، تظهر تكتيكات إبداعية لنشرها. هذا المشهد المتطور يعكس الطبيعة الديناميكية للصراع بين القوة والأصوات المعارضة، ويؤكد على أن الصوت، سواء كان لحناً أو كلمة، سيظل سلاحاً أساسياً في معركة الحرية.

مما سبق يتبين لنا أن الصوت، بجميع أبعاده الموسيقية وغير الموسيقية، لا يمثل مجرد ظاهرة سمعية، بل هو قوة سياسية واجتماعية كبيرة تتشابك بشكل وثيق مع آليات القوة والمقاومة. لقد ناقشت هذه الدراسة كيف يمكن للسلطات ان توظف "سياسات الصوت" لفرض هيمنتها والتحكم في الفضاء العام والخاص، من خلال استخدام الضجيج كأداة للقمع، أو فرض الصمت، او احتكار المساحات الصوتية لبث رواياتها الرسمية. في مواجهة هذا التحكم، تبرز "موسيقى المقاومة" كنموذج بارز لكيفية تحويل الصوت إلى أداة للتحرر والتعبير عن الذات الجماعية.

تتجلى موسيقى المقاومة كأداة قوية لبناء الهوية، وتوحيد الصفوف، والتعبير عن الاحتجاج، ولعبت دوراً حاسماً في حفظ الذاكرة الجماعية وتأريخ السرديات البديلة التي غالباً ما يتم قمعها. كما رأينا، لا تقتصر التكتيكات السمعية للمقاومة على الموسيقى وحدها، بل تتسع لتشمل الهتافات الجماعية، والضجيج المنظم، وحتى الصمت التعبيري، وكلها تهدف إلى تحدي الرواية السائدة وإحداث اضطراب في النظام الصوتي القمعي.

لقد أضاف العصر الرقمي ابعادا جديدة من التعقيد والتطور لهذه الديناميكية. فبينما قدمت التكنولوجيا فرصاً غير مسبوقة لنشر الأصوات المقاومة وتجاوز الحدود الجغرافية، فقد فرضت أيضاً تحديات جديدة تتعلق بالرقابة الخوارزمية، والتجزئة السمعية، مما يستدعي استراتيجيات أكثر ابتكاراً للمحافظة على فعالية موسيقى المقاومة والأصوات المعارضة في الفضاء الرقمي.

إن فهم "سياسات الصوت وموسيقى المقاومة" يؤكد على أن السمع ليس مجرد حاسة استقبال، بل هو ساحة معركة حقيقية يتم فيها خوض صراعات على المعنى والهوية والحرية والمقاومة ورفض القمع.

ريم بنا: أنشودة المقاومة وصوت يغنى فلسطين

"لي رسالة واضحة سأناضل دائما من أجلها، صوتي هو سلاحي، وأغانيَ تعني لي شكل من أشكال المقاومة، وأنا لست بنجمة ولا أريد أن أكون نجمة لا يصلها الناس، أنا فنانة فلسطينية، صادقة بالتعبيرعن الواقع الحقيقي عبر الموسيقى، الأغاني والصوت، أحاول أن أوصل صوت وصرخة الإنسان الفلسطيني إلى العالم حتى يدرك المعاناة الحقيقية للإنسان الفلسطيني في ظل الاحتلال، ولمناصرة قضيته العادلة والضغط على حكوماته لاتخاذ مواقف حازمة لإنهاء هذه المعاناة" (جريدة دنيا الوطن, 2017)

أحبت ريم الغناء منذ صغرها، وشاركت في المهرجانات والمناسبات الوطنية التي كانت تقام في بلدتها "الناصرة"، ومع ازدياد شغفها بالموسيقى اثقلت موهبتها بالدراسة، فإلتحقت بالمعهد العالي للموسيقى فى موسكو، وتخصصت في الغناء الحديث وقيادة المجموعات الغنائية. وعادت إلى فلسطين لتركز على أداء الأغاني الفلكلورية الشعبية الفلسطينية والتراث الفلسطينى بطريقة حديثة ومعاصرة ولتجعل من صوتها القوي والمؤثرسلاحا للمقاومة ومناهضة الاحتلال ومحاولات طمس الهوية، حيث اشتهرت بأغانيها الوطنية والملتزمة والمستمدة من التراث الفلسطيني، والتي تعبرعن الهوية الوطنية الفلسطينية، وتعكس قضايا الشعب الفلسطيني ومعاناته .

أصدرت عدة ألبومات غنائية اتسمت بالطابع الفلسطيني الوطني مع اهتمام خاص بالغناء للأطفال والذى تميزت فيه، كما شاركت في العديد من المهرجانات المحلية والعربية والدولية، وانطلق صوتها متجاوزا الحدود ومتحديا حواجز الاحتلال ليصل إلى الفلسطينيين في سجون الاحتلال وفي المخيمات، وإلى كل بقاع فلسطين وإلى مختلف أنحاء العالم رغم الحصار. ووصفت ب"عنقاء فلسطين وصوتها المقاوم"، كما أطلق عليها "صوت القضية".

كرست فنها لوطنها، فجابت العالم تحكى وتسرد قصص الماضى والحاضر وتبرز الرواية الفلسطينية فى مواجهة الرواية المضادة، وتكشف عمق المعاناة اليوميّة للشعب الفلسطيني، لتجعل فلسطين وقضيتها حية وحاضرة فى الأذهان. كما تحمل رسالة فنية واضحة في موسيقاها تهدف إلى الإرتقاء بمستوى الأغنية العربية الفلسطينية التراثية وغير التراثية إلى مستوى الأغنية العالمية، وتحريرها من المؤثرات السلبية.

وتتأرجح أعمال ريم بنا بين الحب والوطنية، إيمانا منها بعمق الوشائج التى تربطهما ف"حتى يكون الشخص ثائر وقادر على المواجهة وبيكافح من أجل الحرية، فلابد أن يكون عاشقا، الحب أساسى، الحب بيقوينا وبيعطينا طاقة وكم هائل من القوة التى تجعلنا نواجه أى شئ صعب أو معاناة". (برنامج بيت القصيد, 2016)
وغنت العديد من قصائد الشعر الصوفى الذى ترى فيه"شعر مليئ بمعانى الحب، الوجد، الغضب، الثورة، المواجهة، الحنين للوطن، والتمرد" (برنامج بيت القصيد, 2016)[1]

وينبع صوت ريم بنا من تجربة حية ومعاشة إيمانا منها بإنه "لو ما كنت عايشة فى فلسطين لما كنت قادرة على أحكى عن فلسطين والتعبيرعن معاناة الشعب الفلسطينى، عن الحصار، الحواجز، القصف، الجدار، والقتل إلا لما أكون شفته وعيشته. فى الانتفاضة الثانية عشت تحت القصف ومررت على حواجز لساعات طويلة.كان لازم أعيش وأجرب بنفسى لا أن أسمع عن التجربة والمعاناة. لأكون صادقة مع نفسى ومع الناس أنا بحاجة لأن أعيش تلك التجربة حتى أعبر وأحكى عنها بصدق"(برنامج بيت القصيد،2016).
هذا الوطن وهذه الأجواء المحيطة رغم ما فيها من معاناة وتقلبات إلا أنها تمثل مصدر إلهامها والبيئة التى تستقى منها إبداعها. بل هى مصدر إلهام لكل فريق العمل حتى من غير الفلسطينيين، حيث يحرص الموسيقى النرويجى ومنتج أعمالها أريك هيليستاد[2] على أن يأتى العازفين الذين يشاركونها أعمالها إلى فلسطين ليروا البيئة والمكان الذى تعيش فيه وتغنى عنه وله، وليعايشوا المعاناة بأنفسهم.
تغنت ريم فى ألبوماتها بفلسطين الوطن، بكل ما يحمله من معانى وقيم، بشعبه، بتاريخه وجغرافيته، وبتراثه وهويته، وبآلامه ومعاناته، وبنضاله وصلابته.[3] ولم تصرفها هموم الوطن عن محيطها العربى فكانت أصداء واقعه تتردد فى العديد من أغانيها، واتسع المدى ليشدو صوتها دفاعا عن الحرية والعدالة والقيم الانسانية ومعاناة المقهورين فى كل مكان.

وكانت ألبوماتها مواكبة للأحداث المحيطة بها ومعبرة عنها بصدق، وأهدت العديد منها لمختلف أطياف المجتمع من معتقلين ولاجئين وشهداء كبارا وأطفالا، ولأمهات الشهداء، تعبيرا عن آلامهم، ومشاركة لمعاناتهم. وجاءت رحلتها إلى السويد - فى مطلع القرن- لتتيح لها الانطلاق مع قضيتها نحو آفاق أرحب، وليصدح صوتها فى الغرب بمشاركتها الغناء في ألبوم "تهويدات[4] من محاور الشر" “Lullabies from the Axis of Evil” عام 2003 .كما دعيت بعدها لإحياء عدة حفلات فى بلدان أوروبية. وقد تزامن ذلك مع اندلاع الحرب على العراق، فطافت فى البلدان الأوروبية تغنى للعراق وتشارك فى التجمعات المناهضة للحرب. وفى ألبوم "رسالة موسيقية ضد الحرب إلى الرئيس الأمريكي بوش" شاركت مجموعة من المغنيات - من فلسطين والعراق وإيران والنرويج وكوريا الشمالية وسوريا وكوبا وأفغانستان - فى تقديم تهويدات من ثقافاتهم في شكل ثنائي مع عرض أغانيهم باللغة الإنجليزية مما ساهم في وصول الأغاني إلى قلوب الجمهور الغربي. وجاء ألبومها الذي أنجزته مع فرقة "سكروك" النرويجية تحت عنوان "المذود"، إضافة فنية من حيث المضمون والقالب الفنى. ويحتوي على 14 أغنية باللغتين العربية والنرويجية، كتبت ريم كلمات بعضها وترجمت إلى اللغة النرويجية.

وقد حقق هذا العمل الفلسطيني النرويجي المشترك نجاحاً كبيراً خاصة في الدول الاسكندنافية، وحظى بإهتمام ملحوظ من وسائل اعلامها سواء فى التغطية التليفزيونية أو الصحفية.

اريك هيليستاد موسيقى ومنتج نرويجى ومدير شركة الأسطوانات كى كى فى ، وتولى إنتاج ألبوماتها.بدأت علاقته بريم من خلال ألبوم "تهويدات من محور الشر"الذى سجلته ردا على تصريحات الرئيس بوش حول محور الشر ثم توالى التعاون بينهما فى إنتاج أعمالها الفنية الأخرى.[2]

[3] فى حفل تكريمها لاختيارها شخصية العام الثقافية 2006 أهدت التكريم لوطنها وشعبها "بالنسبة لي هذا التكريم هو لفلسطين التاريخية، ولأرواح الشهداء، وكل الأسرى والمعتقلين، ولكل اللاجئين الفلسطينيين الذين ننتظر يوم عودتهم إلى بلداتهم الأصلية."

3 التهويدات هى أغان هادئة ورقيقة ترددها الأم عادة لتساعد الطفل على النوم .وتتميز هذه الأغاى بإيقاعها البسيط وكلماتها المهدئة.وفى بعض [4] المجتمعات قد تنقل التهويدات أيضا معارف وتقاليد ثقافية.

وأتاح لها السفر إلى النرويج التعاون مع عدد من الفنانين الأوروبيين وتجلى فى ألبوم "مرايا الروح" 2005 والذي ترجمت أغانيه - في كتيب- إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية. وقد حقق الألبوم والحفلات التى أقيمت نجاحا ملحوظا وانتشارا واسعا فى النرويج، وإشادة من وسائل الإعلام الغربية بأداء ريم وبرسالة الأغانى التى عبرت عن معاناة الشعب الفلسطينى ونضاله. وجاء الألبوم متزامنا مع تزيد اهتمام العالم بالمأساة الفلسطينية فى ظل أحداث الانتفاضة المستمرة منذ سنوات دون بارقة أمل.

وإلى جانب الأغانى ،اتجهت ريم بالتعاون مع الموسيقى النرويجى اريك هيليستاد والفنانة النرويجية كاري بريمنس[5]-التى كتبت الحوار وشاركت فى التمثيل- إلى تقديم مسرحية غنائية "يا "ملاكي جِد الطريق" تحكي عن رحلة كاري بريمنس في الشرق الأوسط ورحلتها بالذات إلى فلسطين والأشياء التي رأتها، لأنها كانت تؤدى في المسرحية دور الشاهد الحقيقي الذي يُريك وجها لوجه ماذا رأى هناك وليس شخص سمع أو أثر عليه شخص آخر، شاهد على ما رأت على الحواجز في فلسطين، على عذابات الناس ومعاناتهم في المدن الفلسطينية المحاصرة، إضافة للقاؤها مع ريم ومعايشة تجربتها وظروف عملها ،ورسالتها " التي تقول ان هناك لاجئين تحت القصف، وكيف نعمل رغم الضغط علينا و في الأوضاع الصعبة ، كذلك مع عائلتي وظروفي ، فعلا فيها كان خطورة على حياتي لكن ايماني كان وهدفي الأكبر أن اصل إلى الأطفال الفلسطينيين الذين تحس عن جد انهم يحتاجون احداً يشاركهم يكون معهم يغني لهم ، يقيم لهم أي نشاط يخفف عنهم الخوف والرعب الذي يعيشونه يوميا من القصف ومن أجواء الاحتلال المرعبة. فثمرة هذا كله كانت المسرحية التي طلعت بهذه الصيغة والتي تركت أثراً قويا لدى الجمهور النرويجي،هذا الجمهور الذي خرج بانطباع خاص بعد المسرحية والذي لا بد سيجلس قليلا مع نفسه ويفكر بهؤلاء الناس البعيدين سفر طويل عنهم، أن يعرف انه هناك ناس لا يعرف عنهم وان يعرف حقيقة ما يجري على الأرض هناك" (موقع الصفصاف, 2005)

واختتمت ريم مسيرتها الفنية بألبوم"صوت المقاومة" 2018 الذى أهدته إلى المقاومة الفلسطينية، وأُطلق بعد شهرين من وفاتها.يضم الألبوم –الذى جاء بعد اصابتها و توقفها عن الغناء- 15 أغنية 14 منهم من تأليفها، وهى مزيج من كلماتها المؤثرة التي تجسد إرادة قوية وروح مقاومة وقصائدها المتمردة، وفن صوتي تجريبي، وفحوصاتها الطبية بنغمات ودقات موسيقية لفرقة حاجز 303 وألحان بيانو قوية ومثيرة. وأكدت ريم على أنها "أرادت أن يكون هذا الألبوم مميزا وجريئا، وليس حزينا أو سوداويا... فعل مقاومة مبتكر في وجه الظلم والاحتلال في كافة أشكالهما".(لقاء مع ريم بنا فى برنامج شو بالبلد ،31-12-2016) ولتختتم ألبوماتها ومسيرتها الحافلة بإشارة النصر وابتسامة أمل كعادتها دائما.

تعزيز الهوية الوطنية وحماية التراث الثقافى

تجسد أغاني ريم بنا الهوية الفلسطينية وتراثها الغني، فكلماتها وألحانها - التى تؤلف معظمها بنفسها - مستوحاة من وجدان الشعب الفلسطينى ومن تراثه وتاريخه وثقافته وأغانيه الشعبية، وجاءت أغانيها تحاكى الواقع والحياة اليومية للفلسطينين، وتروى معاناتهم على امتداد سنوات الحرب والحصار. ومثل اهتمام ريم بتأكيد الهوية الوطنية وإحياء التراث الثقافى نهجا آخر للمقاومة ووسيلةٌ للتعبير عن الذات الثقافية، ايمانا منها بأن "جزءٌ من عملنا يتألف من جمع النصوص الفلسطينية التراثية غير الملحنة، حفاظاً على هذه النصوص من الضياع. ثم نحاول تأليف موسيقى عصرية مستوحاة من الموسيقى الفلسطينية التُراثية لتتماشى مع هذه النصوص، دون الاخلال بجوهر هذه الأغانى, فمشروعها "إعادة إحياء" ما تمّ نسيانه. (برنامج شو بالبلد, 2016)

ومضت في مشروعٍ يهدف لحماية التراث اللامادي الفلسطيني. وبدأت بتسجيل أغاني الأطفال التي ترددها الجدات وانتقلت إلينا بالتواتر الشفوي ولم تتم أرشفتها. خصّصت لهذه الأغاني ثلاثة ألبومات .

كما انفردت بتقديم العديد من التهاليل والأغاني التراثية الفلسطينية التي التصقت بها، وكانت لها الريادة في عرض هذا التراث للجمهور، مما ساهم في الحفاظ على هذا التراث ونشره فى جميع أمسياتها. فالتهليلة التي كانت حبيسة الغرفة ورفيقة

---

[5] كارى بريمنس كاتبة وممثلة ومغنية ومؤلفة أغانى نرويجية .لها العديد من الأعمال الفنية المميزة ،وحصلت على جوائز متعددة.

المهد، أصبحت أغنية تغنى في المسارح وفي الأمسيات والمهرجانات الشعبية والعالمية. وأغلب التهاليل تتضمن فى مضمونها حكايات عن المنفى والتهجير والحنين للوطن وللأهل والأحباب.[6] وبعضها كانت تغنيها النساء الفلسطينيات عندما كانوا يزورون أحبتهم فى السجون، ليخبروهم أن الشباب سيحررونهم من سجنهم تلك الليلة، وكانت تضيف حرف اللام على الكلمات تمويها للسجان وحتى لا يتمكن من فهم رسائلهم .[7]

كما حرصت على تلحين الأشعار التراثية غير الملحنة بأسلوب حداثي خاص بها، مسترشدة بالموسيقى الشعبية الفلسطينية والعربيّة القديمة وإيحاءات موسيقى الشعوب في العالم، وذلك من أجل أن تتواصل هذه الأغاني والنصوص مع الأجيال القادمة للحفاظ على هذا الميراث العظيم من الفنّ الشعبي الأصيل المرتبط بالجذور، لتعزيز الإنتماء القومي.

تصدت ريم لمحاولات دولة الاستعمار لإنكار الثقافة الفلسطينية ومحوها، وجعلت من إحياء التراث الثقافى الفلسطينى والإضافة له، و تطوير مواضيعه، سلاحا فى مواجهة محاولات المحو الثقافي، واستحلاله. وتؤكد" كفلسطينيين من فلسطين التاريخية، بأننا حتي الان ما زلنا نقوم بطقوسنا التراثية ونغني الاغاني الجميلة في مواسم قطف الزيتون مثلاً أو في أعراسنا ومآتمنا"[8] .

وإلى جانب الأغانى، اهتمتّ بنشر الملابس التراثية الفلسطينية. ولم تترك ريم ثوبها الفلسطيني، فهي تميّزت به وتحلت به فى حفلاتها بصورة جعلت منها أيقونة فى صوتها وهيئتها. مؤكدة ان"اصراري الدائم على ارتداء الثوب الفلسطيني على المسارح العالمية يعود إلى إدراكي وإيماني بما يحمله هذا الثوب المطرز من معنى، انه يدل على هويتي،على تراثي وعلى شموخ شعب لا يقهر" (دنيا الوطن, 2007). كما عملت على نشر فن التطريزوالحلى المطرز والذى عكفت عليه وأبدعت فيه حين أرغمها المرض على التوقف عن الغناء، وجعلت من إحياء التطريز الفلسطينى ونشره أسلوبا آخر للمقاومة. وحرصت على تضمين أغانيها عناصر من التراث الفلسطينى المادى وغير المادى، فتغنت بشجر الزيتون والبرتقال، وبأزهار الخزامة والصنوبر، وبربوع البلاد وتلالها وأنهارها.

ريم بنا ؛ صوت يشدو دفاعا عن الحرية والقيم الإنسانية

"أنا بشرية فى حجم انسان
فهل أرتاح والدم الزكى يسفك "
أغنى للحياة "[9]

تجاوزت ريم-بأغانيها - واقعها الفلسطينى إلى الواقع العربى فغنت للعراق وتونس ولبنان[10] وسوريا، ولم تتردّد في إعلان مواقفها السياسية بشكل واضح، ليس فقط في ما يخص القضية الفلسطينية، لكن أيضاً في مساندتها لثورات الربيع العربي. وامتدت إلى آفاق أرحب لتغنى للشعوب المقهورة فى كل مكان. وغنت للحرية.[11] ودعت لكسر حاجز الخوف

"مرة واحدة جرب احكى يلى جوا راسك
هاى البلد بطلت بلدك
صارت ملك حاكم بلدك
لسه بعدك ساكت وما بدك تقول
طلع على اللى رمى أهلك على الموت

---

[6] مثل تهليلة "يا ليل ما أطولك"
[7] أغنية "يا طالعين الجبل "
[8] كلمة ريم بنا فى مهرجان قرطاج ، ديسمبر2015 .
[9] أغنية "أعطى نصف عمرى".
[10] أهدت ألبوم" لم تكن تلك حكايتي" 2006 الي الشعب الفلسطيني واللبناني حيث تواكب صدوره مع القصف الاسرائيلى للبنان وبلداتها.
[11] أغنية "الحر" قصيدة من كلمات المناضل التونسي عمارة عمراني الذي عانى ويلات التعذيب وقضى فترة من عمره في زنزانات السجون أيام حكم الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي. وأدت ريم الأغنية باللهجة التونسية وبمشاركة فنان الراب التونسي مستر كاز.
.

ولا بعمرك رح تضل أنت وشعبك للحاكم عبيد
طيب اكسر خوفك
مرة واحدة جرب اطلع من جواك"[12]

ولم تقتصر أغانيها على القضايا السياسية، بل حملت أيضاً رسائل إنسانية واجتماعية، تدعو إلى التسامح والمحبة والسلام. واستطاعت ريم بأدائها المتفرد وبأغانيها الوطنيّة والإنسانيّة أن تحظى بمكانة متميزة في فلسطين وفي العالم. وأن يكون لها دوما حضورها الساطع وتواصلها الحميمى مع جمهورها على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعيّة وانتماءاتهم وحتى مع الذين لا يفهمون اللغة العربيّة أوغيرالملمين بتاريخ القضية الفلسطينية. وحملت أغانيها رسائل واضحة وشارحة لمختلف القضايا التى تناولتها، إيمانا منها بقوة تأثير الأغنية "يمكنك أن تعطيهم خطابًا سياسيًا طويلًا، ما زالوا لا يفهمون قضية شعبنا ونضاله، بس بأغنية بسيطة ممكن توصل رسالتنا وهي "اللعنة على الاحتلال". تلك الرسالة التى تحملها بصدق كلمات أغانيها وصوتها المؤثر والذى كان له أبلغ الأثر فى الدعوة لقضيتها، وتأتى كلمات الموسيقى النرويجى أريك هيليستاد [13]برهانا على ذلك "فور غناء ريم، دخل صوتها إلى قلبى، وحتى من دون فهم اللغة، يمكن أن يخبرنا ذلك بهويتها كفنانة، طاقة وقوة للغاية ألهمت ملايين الناس على مرّ السنين من خلال أغانيها. أظهر صوتها عمق معركة الشعب الفلسطيني. لقد غيرني ذلك وصقل موقفي ومدني بالعزم والقوة على فعل كل ما بوسعي لدعم القضية الفلسطينية." [14]
من خلال حضورها الفنى ومشاركاتها الغنائية فى العديد من الدول، حفزت الكثير من الجمهور والفنانين خاصة النرويجيّين لاتخاذ موقف من أجل فلسطين ودعم حملة المقاطعة الثقافية . فكانت مصدر إلهام لهم ولمواقفهم على الصعيد المهني أو الشخصي.
ولعبت أغاني ريم دورا مهما في إنتاج العديد من الأفلام والمسلسلات، وكذلك البرامج الوثائقية التي تناولت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية.

أغانى ريم بنا للأطفال بين الغناء عنهم والغناء لهم

غمرت ريم الأطفال بحبها وبرصيد وافر من أغانيها،بعضها أغانى موجهة للأطفال، تتحدث بلغتهم فى موضوعات تهمّهم وتنمّي لديهم الحس الجمالى والتذوق الموسيقى، وبعضها أغانى تحكى عن أطفال فلسطين والمعاناة التى يعيشون فيها والتى قد تصل إلى حد حرمانهم من الحياة .

فريم التى غنت "أعطى نصف عمرى للذى

يجعل طفلا

باكيا يضحك" [15]

---

[12] أغنية "اكسر خوفك".

وقد قاد المنتج اريك هيسيلتاد حملة اعلامية ضد العدوان الاسرائيلى على لبنان فى 2006 مما تسبب له فى اتهامات بمعاداة السامية. [14]
[15] أغنية "وأعطى نصف عمرى"

لم تجد أمام إجرام القناصة فى إنتزاع الضحكة بل واستهداف الأطفال، إلا صوتها وكلماتها التى تحمل حزنها الكبيرلتحكى بنبرات احتجاجية ومن خلال صور فنية موحية قصص أطفال استشهدوا برصاص القناص.ففى بداية الانتفاضة وتأثرا بمشهد استشهاد الطفل محمد الدرة فى أحضان والده.[16]كانت صرختها بالكلمات والألحان

"مات الولد"

"محمد الصغير ،ما كان حلمه الكبير

إن رصاص يخطف بريق عنيه

محمد حلمه يصير حر فى وطن كبير

بس أحلامه ما قدرت تحميه

أحلامه اتشوهت بالدم

اتخزقت برصاص

لحظة بيخلص الحلم لما يصوب القناص"[17]

مات الولد" مثلما مات فارس عودة[18] برصاص القناص،الرصاص الذى أودى بحياة العديد من أطفال الحجارة ممن غنت لهم ريم حزنا عليهم وتمجيدا لبسالتهم" الحجرالاخير الذى سبقته الرصاصة مازال فى يدك"[19]،

وتصور بآسى وحزن دفين وحشية آلة القتل الاسرائلية التى تستهدف الأطفال و الشباب الذى لا يملك إلا الحجارة يدافع بها عن وطنه، فتغتاله وتغتال أحلامه لتتآسى ريم " بربيعك العشرين لن ترى الشمس فى تشرين "[20]

وتوالت الجرائم، فمن محمد الدرة وفارس عودة وغيرهم إلى سارة [21]التى

كانت

تدرج أولى خطواتها على تراب فلسطين

وكانت ضحكتها تغطي، تغطي سماء فلسطين

غافلها القناص بطلقة في الراس

في رأس ساره الصغير"[22]

---

[16]كتبت أغنية "مات الولد" تأثرا بالفاجعة وأهدتها لذكرى كل أرواح الشهداء الأطفال التى لم تتمكن شاشات التليفزيون وعدسات الكاميرات نقل مشهد استشهادهم

[17] أغنية "مات الولد"

[18] تكريما لفارس عودة أحد شهداء الانتفاضة غنت له ريم أغنية حملت اسمه .أغنية "فارس عودة"

[19] أغنية"صمت الليل".

[20] أغنية "صمت الليل".

[21] أغنية "سارة" هي قصيدة للشاعرة الفلسطينية زهيرة صباغ، عن الطفلة الشهيدة سارة عبد الحق من نابلس والتي قتلت برصاص قناص اسرائيلي ولم يتجاوز عمرها ستة عشر شهرا.

[22]". أغنية "سارة

وترثى ريم لحال أمهات وآباء الشهداء

"ففى قلب الأم مخابئ لأطفالهاوحزنها

فى حضن الأم وقلبها

للمرأة الثكلى قلب من حليب وزجاج

للأب المفجوع قلب من دمع يضئ به السراج"[23]

وأمام تواتر تلك الجرائم كان من الطبيعى أن يعلو صوت ريم فى ألبومها المشترك مع فرقة سكروك النرويجية بأغنية مشتركة تغنى باللغتين العربية والنرويجية، على لحن أغنية من أغانى أعياد الميلاد التراثية النرويجية، تدعو لإيقاف هذه الجرائم لحماية أطفال فلسطين وتناشد العالم

"لا تقتلوا أطفالنا

إنهم أبرياء

بل أنظروا إلى قلوبهم

تروا يماما يرفرف"[24]

ويعد اهتمام ريم بنا بأغانى الأطفال جزء من مشروعها لحماية التراث اللامادي، فبدأت مشوارها الغنائي بتقديم نسخة خاصة من الأغاني التقليدية الفلسطينية الموجهة للأطفال،فى محاولة لحفظها وحمايتها من الاندثار. كما قدمت باقة من أغنيات الأطفال من كلماتها وألحانها، وقد لاقت إقبالاً منقطع النظير من جمهور الأطفال وانتشرت على نطاق واسع خاصة عندما قامت بتقديمها في مهرجانات الأطفال. [25] وكان التراث الفلسطينى والبيئة الفلسطينية هو النبع الذى استقت منه كلمات أغانيها وألحانها العذبة التى عبرت عن حب الأم، اللعب، والخيال، والمحبة والتكافل ودفء المشاعر، والتى طاف الأطفال من خلالها فى رحاب الوطن بتقاليده وعاداته ليتغنوا بوطنهم ويغنون معها فلسطين.

أنشودة المقاومة بين الحكى والتحدى

"دوري في النضال والمقاومة لا يقل عن دور السلاح، حتي أحياناً يتفوقه، لانني بدأت أُتعب الاسرائيليين وأحاصرهم بصوتي الذي اخترق الحدود والحصار لينقل معاناة الشعب الفلسطيني للعالم وحقيقة ما يجري علي الأرض"

حملت ريم بنا قضية شعبها إلى العالم لتحكى له ولتشهده على ممارسات العدو.بداية من انتهاك أبسط حقوق الحياة والافتقار إلى الأمان وحرمانه من استمرار الحياة الطبيعية

"أحكي للعالم أحكي له
عن بيتٍ كَسروا قِنديله

[23] أغنية " فارس عودة".

[24] أغنية "لا تقتلوا أطفالنا".

[25] مثل: مهرجان" نوّار نيسان" في رام الله، مهرجان" بيت لحم الصيفي" في بيت لحم، مهرجانات"عيد الميلاد"، " مهرجانات رمضان"في العديد من المدن والقرى الفلسطينية، مهرجان"فرح ومرح"في بيت لحم والقدس، مهرجان"أريحا الشتوي"في أريحا، مهرجان"أطفال الشهداء" في غزّة، مهرجانات"يوم الطفل العالمي" في الناصرة و حيفا وفي العديد من المدن والقرى،"مهرجان التوائم"في نابلس، مهرجان ". الأطفال الأبرياء" في ساحة المهد- بيت لحم (1999)، مهرجان"عيد الأضحى"في الخليل، وغيرها من مهرجانات الأطفال.

عن فأسٍ قتلت زنبقةً
وحريقٍ أودى بجديلة..
أحكي عن شاةٍ لم تُحلب
عن عَجنةِ أُمّ ما خُبزت
عن سقفٍ طينيّ أعشب
أحكي للعالم أحكي له"[26]..

وتواصل الحكى فى ألبومها، "مرايا الروح" الذي كُرس لجميع المناضلين الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب في المعتقلات والسجون الإسرائيلية، تقديرا وتكريما لصمودهم ونضالهم من اجل الحرية والاستقلال، كما حمل الألبوم رسالة للعالم-أبدعت ريم فى تقديمها في أمسياتها المحلية والعالمية- تكشف المعاناة الحقيقية وما يدور من وراء القضبان.

لتحكى على لسان أحدهم:

"جاءوا فجأة واعتقلونى

وبعيدا أخذونى

مع العتمة فى بعض السجون

وعلى الأوحال والأسلاك جرونى طوال الليل

فركوا بالرمل والملح جراحى

وإلى ركن كريه ركلونى

قتلونى ذات يوم أحبائي"[27]

لكن بصمود الفلسطينى وشموخه يتحدى المعتقل غطرسة العدو ويؤكد

"لكن ظل مرفوعا إلى الغرب جبينى"[28]

وتنتقل لتصور الجانب الآخر من المعاناة ،معاناة الأم و الأهل لتجسد صرخة الأم " من قاع الروح

يا كرمل الروح

إجلب له هواء بحر حيفا

أحضر له نسيم بحر يافا

يلطف برد زنزانته وحرها

يا كرمل الروح كن حنونا علي

أنت أقرب مني إليه يا كرمل الروح انه وحيد"[29]

---

26 أغنية"أحكى للعالم".
27 أغنية"ذات يوم".
28 أغنية"ذات يوم".
29 أغنية "كرمل الروح".

مشكلة اللاجئين بين ألم الغربة وأمل العودة

وشغلت مأساة اللاجئين الجانب الكبير من اهتمام ريم بنا فأصدرت ألبوم"مواسم البنفسج؛أغاني حب من فلسطين". وكان هدفها من "إصدارالبوم يتحدث عن العشق الفلسطيني بكل أشكاله،الحب الإنساني، حب الفلسطيني لأرضه وشوق اللاجئ للعودة، فقط لإظهار الجانب الإنساني للشعب الفلسطيني الذي يحاول العالم أن يتجاهله، ويرانا فقط من خلال نشرات أخبارهم البائسة التي لا تمت للحقيقة بصلة، لأنها تكون وفق مخطط صهيوني–أمريكي".ويضم الألبوم مجموعة من أشعار الحب من فلسطين، لتعود ريم وتعيد احياء الأغاني والأشعار العاطفية الفلسطينية التي أهملت وخفت صوتها مع غلبة الطابع السياسى على الأغنية الفلسطينية .
وقد قدمت "أغنية أمسى المسا"لكل الفلسطينيين فى الدول العربية الذن يصعب عليهم حضور حفلاتها أو إيجاد ألبوماتها فى الأسواق.نتيجة لقيود الانتقال والمنع والمصادرة والتى حاولت أن تتخطاها بصوتها الذى اعتادت أن تتجاوز به كافة أشكال الحصار "شيء يحزنني فعلاً، لذلك رفعت أغنية أمسي المسا الي كل اللاجئين الفلسطينيين، أغنية تتحدث بلسان لاجئ فلسطينى لم أجد طريقة أخري لأصل اليهم غير رفع هذه الاغنية لهم علها تصلهم عندما يتم توزيع الالبوم عربياً وهذا ما آمله. لا أحد يستطيع أن يحاصر الصوت، ان صوتي هو الذي يحاصر من يحاول منعه من الغناء. اليوم أي شخص بامكانه ان ينزل أغانيَ من الانترنت أي ان الاغنية والكلمة والصوت لا يرضخ للاحكام والقوانين ولا لأي حصار."
و تحمل ريم فى أغانيها معاناة اللاجئين،وتشدو بصوتهم تعبر عن مشاعر الغربة :

" يغمرنى عبق اللهفة ، يجتاحنى عوسق الحنين "[30]
وفي شراييني نداء الأرض قاهر[31]
وكل الاجئين يراودهم حلم العودة "على أرض فلسطين يا مناى نروح"[32]
وقد يتبدد الأمل لدى الأهل من طول الانتظار
"طال انتظاري يا حبيبي
خطّ الشيب شَعْري
ولم
تأتِ
وداعا "[33]
لكن اللاجئ مازال يحمل الأمل والتصميم
"جذر جذري إنني سأعود حتما فانتظرني
أنا راجع فاحفظن لي صوتي ورائحتي وشكلي"[34]

وحرصت على أن تحكى للعالم عن هذه المعاناة ،فخصصت إحدى أغنيات ألومها "المذود" لتحكى قصة الميلاد وربط موضوع هروب العائلة المقدسة من وجه هيرودوس ولجوئهم الى مصر، بقضية الشعب الفلسطيني المشرد عن وطنه واللاجئ خارج فلسطين، لتجسيد معاناة اللاجئين وما يعنيه الشتات والرحيل والمنفى، وحتى تجعل العالم الغربي المسيحي يقف على حقيقة ما يجري في الاراضي الفلسطينية المقدسة.
وتنتقل ريم بكلماتها و من خلال صورة فنية موحية، تعدد الانتهاكات والممارسات القمعية لتشهد العالم على أن لغة السلاح والنار هى لغة الكيان الصهيونى.

"يقتلون الأطفال بالمئات،يخلعون شجر الزيتون المبارك،يدمرون البيوت والحارات والشوارع،اعتقالات،آلاف الأسرى فى السجون،حصار،يقصفون المدن والقرى،يفرقون مظاهرات السلام بالغاز المسيل للدموع، بالرصاص، بالصواريخ، بالقذائف، بالمدافع ، بالنار،منع تجول، اغتيالات،اللغة لغة السلاح والنار،هم من يبنون الجدار العازل"الحامل تلد على الحاجز أمام أعين

[30] أغنية"نشيد البحر".
أغنية الصوت والشكل والرائحة".وتتكرر نفس المعانى فى" أغنية لاح القمر"، و"أمسى المسا" وغيرها .[31]
أغنية "لاح القمر" .[32]
[33] أغنية "انتظرينى".
[34] أغنية "الصوت والرائحة والشكل".

الجنود يطلقون النار على سيارات الاسعاف"عشرات ألوف من الجرحى" [35] وتستمر ريم تحكى عن الوطن المسلوب،فى غضب وإدانة صارخة للعدو"أنت الذي قتل الربيع فبيدري غضب يهزّ وثورة لم تخمد

أنت الذي لغمت يداك حدائقي ونسفت موسم لوزها المتوّرد
وجبلت نوّاباً لنعبدهم وهم مستعبد يبكي على مستعبد
وأردتني عبداً يباع ويشترى, وأردتني يأساً يعيش بلا دد
أنا لو عصرت رغيف خبزك في يدي
لرأيت منه دمي يسيل على يدي[36]
وبكل آسى تدرك أن صرختها بلا صدى"هذا الكلام بلا فمٍ..هذا الكلام بلا يدِ"[37]،فى زمن يطلق يد المعتدى بلا رادع. لذا بسخرية مريرة ودقة الطبول في الخلفية تتوجه إلى المعتدى"لا تعتذر! مَن قال أنّك ظالم،لا تنفعل! مَن قال أنّك معتدي."[38]
عرضت ريم قضيتها ليعلو صوتها يستصرخ العالم ليتحرك ويوقف تلك المعاناة ."أيها العالم الحى اهدموا الجدار وأبنوا صروح السلام العادل من أجل الحرية، من أجل أطفالنا".[39]حتى ينعم أطفال فلسطين كشأن أطفال العالم بالطفولة التى حرموا منها .وبحس ساخر ناقد وممزوج بالألم تنتقد المتاجرة بالقضية الفلسطينية مع غياب الفعل الحقيقى

"بلحظة كل الناس غنوا عن القدس

بلحظة كل الناس كتبوا عن القدس

بلحظة دونوا ، صوروا شهداء وأحزان

بلحظة شعروا ، نغموا ذكرى الألام

بلحظة كل العالم غرقونا وعود

بلحظة كل العالم صاروا المجلود

بلحظة حرروا قرروا رؤساء وأحزاب

بلحظة مولوا صرحوا تضامنوا وراء الباب

وزراء بتروح وبتجي زي رف الحمام

وغضب اللحظات واضح عوجوه الحكام

بعد التصوير وتسجيل الاغاني الجديدة

بعد ما انكتبت عناوين وتقارير الجريدة

شو بقي ما صار تظاهرة مع الشعب وجراحه

شو بقي وما صار نستهجن نستنكر قتل اللي راحوا"

وتستنكر عبثية رد الفعل العاجز الذى أقتصر على التعاطف الظاهرى والاستنكار والادانة ، لتؤكد

"إحنا مش فكرة لحدا

إحنا مش لحدى"

---

35 أغنية "دافع عن الحرية".
36 أغنية "الغائب".
37 أغنية "الغائب".
38 أغنية "الغائب".
39 أغنية "دافع عن الحرية".

فالعالم خذل فلسطين وقضيتها لتبقى

"وحدها بتبقى القدس

ناطرت للناس اللي راحوا

وحدها بتبقى القدس

تستنى لرجوع اللي راحوا

وحدها بتبقى القدس"[40]

و تسترجع الماضى وتستحضر صورة فلسطين وتحكى للعالم روايتها

"لم تكن تلك حكايتي من اول الزمان

منذ مواويل الأول

لم تكن تلك حكايتي في زمن العشق الأول

حين كانت عنات تجول اوديتي وجبالي

تشعل التراب الذي ينتظر ماء السماء

حبا وخصبا وسلاما"

وتتأسى على ما آل إليه الوضع وتبدل الحال

"صارت حكايتي في خيمتي وراء الحدود
تتناقلها الروابي
وأنا افتح نافذة على فلسطين
وخمسين عاما من الانتظار
تحمل الريح لي نسمات طابت بالأنين والقهر"[41]

وفى تساؤل استنكارى تواصل تحكى للعالم :

...." كُنّا ما أجملَ ما كُنّا
كنّا فلماذا أعيننا
صارت بالغربة مجبولة
ولماذا صارت أيدينا
بحبالِ اللعنة مجدولة "[42]

وجاءت أغنية "مين" [43]الموجهة إلى أطفال غزة والتى جمعت الفنان القدير أحمد قعبور -بكلماته وألحانه المعبرة- فى أداء مشترك مع ريم بنا لتطرح التساؤل حول مسار القضية الفلسطينية التى عرفت مسارات متعددة، من الكفاح المسلح،

[40] أغنية "وحدها بتبقى القدس".
[41] أغنية"لم تكن تلك حكايتى".
[42] أغنية "أحكى للعالم ".
[43] أغنية "مين" جاءت مع حصار غزة بعد ضرب حى الشجاعية وهى من كلمات وألحان الفنان أحمد قعبور وغناء مشترك مع ريم بنا .

للانتفاضة، للمفاوضات، بعد كل هذه المسارات يتوجه قعبور لجيله والأجيال التالية بتساؤل حول من سيفتح الباب على فلسطين[44] ومتى ومن سيضع نهاية لهذه المأساة الممتدة .

من أول ما شفت النور .. عم فتّش عليها
أنا بقطع كرمالها بحور .. وإغفى عايديها
هيي حلمي والخلاص .. يا ناس ضوّولها شمعة
إن بكيوا أطفال الحرب .. بتحوّلها الدمعة دمعة
مين .. مين بيتحمّل عذاب .. عتاب نظرة عينيها
مين .. مين راح يفتحلها الباب .. تا الشمس تشرق عليها

فالحل هو فى انفراجه تتيح عودة الحياة لفلسطين ويكفى كم المعاناة والضحايا ودماء الأطفال الشاهد على هذه المآسى
"ما بدها غير نقطة مي .. حتّى تزّهر أرض البور
بيكفي تفتح كفّها شوي .. حتّى القدس تشعشع نور
ببحرها مركب نجاة .. حياة لتعيشوا فيها
بيكفيها صوت الآهات .. ومحمد درة بيكفيها
مين .. مين بيتحمّل عذاب .. عتاب نظرة عينيها"
لكن من سيأتى بالحل "مين .. مين راح يفتحلها الباب .. تا الشمس تشرق عليها"[45]

ولكن وبعد سنوات من هذه الدعوة لم يفتح الباب لتشرق الشمس على فلسطين، وإنما فتح العدو أبواب الجحيم على شعب غزة والذى يبحث عن نقطة ماء ليس لكى تزهر أرض البور وإنما لتستمر الحياة للشعب المحاصر الذى يبحث عن طوق نجاة، ولم يكفى العدو صوت الآهات ومحمد الدرة،وإنما تمادى فى عدوانه و تضاعفت أعداد الشهداء وأرواح الأطفال التى تزهق وعلت الآهات والصيحات التى مازالت تشهد وتؤكد "شو بقي وما صار نستهجن نستنكر قتل اللي راحوا".[46]

وبعد استعراض ريم تاريخ فلسطين الذى يشهد كم قاوم شعبها، وكم خسر، وكم صمد، وكم تحدّى من أجل يوم استقلال فلسطين، تتساءل "هل سنحتفل يوماً ما باسقلالنا، وننزل إلى الشوارع والأزقة بالثوب الفلسطيني، والقمباز والكوفية، معلنين انتصارنا على هذا العالم الذي يتاجر بلحمنا؟"[47]

[44] لقاء مع الفنان أحمد قعبور فى برنامج "هى الحدث" مارس 2017
[45] أغنية "مين" ريم بنا وأحمد قعبور.
[46] أغنية "وحدها بتبقى القدس".
[47] خواطر ريم بنا فى الاحتفال باستقلال النرويج.

المراجع

- **Attali, J.** (1985). *Noise: The Political Economy of Music*. University of Minnesota Press.
- **Glenn, C.** (2004). Unspoken: A rhetoric of silence. Carbondale: Southern Illinois University Press.
- **Jurgenson**, N. (2011). Occupy audio: The soundscape of the protests. The Atlantic. https://www.theatlantic.com/technology/archive/2011/11/occupy-audio-the-soundscape-of-the-protests/249123/
- **McDonald,** D. A. (2013). My voice is my weapon: Music, nationalism, and the poetics of Palestinian resistance. Durham, NC: Duke University Press.
- **Sterne, J.** (2003). *The Audible Past: Cultural Origins of Sound Reproduction*. Duke University Press.
- **Thompson, M.** (2017). Beyond unwanted sound: Noise, affect and aesthetic moralism. London: Bloomsbury Academic.
- **Woo**, D. (2024). The Role of Protest Music in Social Movements and Youth Activism Across Eras. Journal of Student Research, https://www.jsr.org/hs/index.php/path/article/view/8176

الدردي, س (القاهرة لدراسات حقوق الإنسان). (2020). معاناة الموسيقيين في سوريا بين السياسة، والرقابة، والصمود. رواق عربhttps://cihrs-rowaq.org/views-the-struggles-of-musicians-in-syria-politics-control-and-resilience/

الغبرا, ح (مؤسسة الدراسات الفلسطينية). (2022). التواصل الأدائي: المقاومة الفلسطينية، وموسيقى الهيب هوب، وأداءات الفضاء السيبراني. مجلة الدراسات الفلسطينية. https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655385

البيان. (2000، 28 مايو). الثورة الرقمية في الموسيقى، سؤال كبير حول قيمة المادة الموسيقية والإبداع عموماً. البيان.

https://www.albayan.ae/culture/2000-05-28-1.1036530

بي بي سي (2019). سيد درويش: صوت ثورة 1919 الذي أشعل حماس الجماهير في مصر

https://www.bbc.com/arabic/art-and-culture-47604041

مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية. (2020). الفن والمقاومة في الحياة السياسية الأفريقية. مركز فاروس

https://shorturl.at/eC41q

صحف وبرامج

جريدة دنيا الوطن رابط ،https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2018/03/28/1132289.html

بتاريخ 10-7-2025

برنامج بيت القصيد رابط ،

https://www.youtube.com/watch?v=eYTjHWAKPJo

بتاريخ 12-7-2025

موقع الصفصاف رابط

https://shorturl.at/3Q0a1

بتاريخ 15- 7- 2025

برنامج شو بالبلد رابط

https://shorturl.at/YxfDW

بتاريخ 15- 7- 2025

برنامج هى الحدث

https://www.youtube.com/watch?v=BFCVnOplUv4

بتاريخ 20- 7- 2025

عدد من أغاني ريم بنا

https://open.spotify.com/artist/3SODNDWMaRom0EVBbS1bqO

https://shorturl.at/63bLh